المحاضرة الخامسة:

التجديد الشعري في المشرق -2-

توطئة.

1. الجواهري والتجربة الشعرية.
2. عبد الرحمان الشرقاوي والتجربة الشعرية.

المحاضرة الخامسة:

التجديد الشعري في المشرق -2-

(الجواهري، الشرقاوي)

توطئة: رأينا في المحاضرة السابقة كيف أثّرت التكتلات الأدبية الشعر العربي الحديث وساهمت في تطويره، من خلال وقوفنا على أهم الإضافات الفنية والموضوعاتية، وما أحدثته من تهلهلات في بنية القصيدة العربية، ولمسنا عن قرب تلك التحولات المفصلية في الكون الشعري العربي.

إلّا أنّ هناك ملاحظة يجب أن أشير إليها، وهي أن التكتلين السابقين لم يحتضنا كل الشّعراء العرب بمختلف أهوائهم ومشاربهم، إذ أن هناك آخرون -شعراء- ظلوا يغرّدون خارج السرب، وخارج هذا الانتماء الفنّي، مكرسين شعرهم لخدمة أمّتهم وانسانيتهم، فنحتوا أعمالا شعرية جليلة تشهد لهم بالبراعة والإبداع المتميّز، والإضافة الراقية للهرم الشعري. لذلك سنكتفي باستعراض تجربة شاعرين إثنين:

1. الجواهري[*] والتجربة الشعرية: هو من أهم شعراء العرب في العصر الحديث وظاهرة شعرية متفردة، أسس الجواهري لكونه وكينونته الشعريتين منذ أن كان صغيرا، فكان أكثر الشعراء حضورا في عصره وأحداث عصره، لا يكتفي بوصف الواقع بل يستبصر فيه مستشرفا رؤى التغيير، ما يعطي لشعره رؤية جديدة إلى الأشياء في دلالتها وأبعادها.

لقد كتب في كلّ قضايا وطنه وقضايا أمته العربية، وكأنّ الزمن قد أنصفه حين امتد به العمر قرنا من الزمن، عاصر فيه أحداث وطنه والعالم العربي بدءا بحكم السلطنة العثمانية حتى نشوب الحرب العالمية الأولى إلى ثورة أكتوبر 1917 إلى حكم الملك فيصل والانتداب البريطاني وثورة العراق عام 1921 إلى بروز النازية إلى الحرب العالمية الثانية حتى قيام دولة الإرهاب واغتصاب إسرائيل في أرض فلسطين عام 1948، إلى ثورة مصر سنة 1952

[*] الجواهري هو محمد مهدي الجواهري (1911-1998) عراقي المولد والنشأة عرف بشاعر الرفض والتمّرد ولقب بشاعر الشعراء ومتنبي القرن العشرين وثالث دجلة والفرات، من مؤلفاته: حلبة الأدب، بين العاطفة والشعور، ديوان الجواهري، بريد الغربة، ذكرياتي ثلاثة أدزاء.

وقيام حلف بغداد سنة 1955 إلى العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956 إلى ثورة جويلية 1958 في العراق، ثم حرب 1967 ومن بعد حرب أكتوبر 1973 إلى حرب الخليج الأولى بين العراق وايران (1981-1988) إلى حرب الخليج الثانية وهزيمة العراق إلى سقوط النظام الشيوعي في روسيا 1991[1].

كل هذه الأحداث لم يقف الجواهري منها موقف المتفرج، بل كان له حضوره القوي والمميّز، يقول في قصيدته ثورة العراق نشرها سنة 1921[2]:

إن كان طال الأمد ** ما فبعد ذا اليوم غد عنها

أن تجلوا القذى ** العيون الرّمد

أسيافكم مرهفة ** وعزمكم متّقد

هبُّوا كفتكم عزّة ** أخبار من ق د رقدوا

هبُّوا فَعَ ن عرينه ** كيف ينام الأس د

إنّه في شعره الثائر بجانب الشّعب يستنهض الهمم، ويشحذ العزائم ويحارب الطغاة الظالمين، لأنّه جُبل على كره القمع والاضطهاد وأساليب الترويع والتجويع.

لم يتخلف أبدا عن قضايا أمته فها هو في يوم فلسطين من عام 1938 يكتب قصيدة يقول فيها[3]:

هبّ الشّام على عادتها ** تملأ الأرض شبابا حنقَا

نادبا بيتا أباحوا قدسَه ** في فلسطين وش ملا مزّقَا

بالعهد رجا ل أن ف ** أخذ الشعب عليهم موثقا

شر فا يوم فلسطين فق د ** بلغ القّمة هذا المرتقى

أليس الملك ,روا ء وازده ت ** روعة التّاريخ ,م نه رونقا

إنّ من مظاهر التجديد في شعر الجواهري، هو قوة الشاعرية النابعة من نفس مملوءة بالطموح والثورة والحياة بكلّ نزقها، تضاف لها السليقة التي جبلت على حبّ العربية فهو

---

[1] ينظر، نجيب البعيني: موسوعة الشعراء العرب المعاصرين، ص415.

[2] الجواهري: في العيون من أشعاره، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الرابعة، 1998، ص43. [3] المصدر نفسه: ص185.

مزيج من المتنبي والبحتري وأبي تمام وان ظلّ نسيجا وحده. يعبّر بلغة إنسابية صافية لا تشوبها شائبة، يقول في قصيدة جربيني التي نشرت سنة 1929[1]:

جربيني من قبل أ ٥ن تزدريني ** واذا ما ذمـمتني فاهجرني
ويقــينا ستندمين على أنّك من قبـل كنت لم تعرفيني
**** لا تقيسي على ملامح وجهي وتــقاطيعه جميع**
**** أنـا لي في الحياة طبع رقيق ** شؤوني يتنافى ولون وجهي الحزين**

هذه المقطوعة الشعرية تعكس صفاء لغة الشاعر، فقد أخرج اللغة العربية من أبراجها العاجية المنفرة للقارئ، وجعلها في متناول الأغلبية إن لم أقل جميع القرّاء، فموضوعها غزلي كما نلاحظ ولكن في رقيّ فكري حضاري بعيدا عن خدش الحياء، وبعيدا عن النزول باللّغة العربية إلى الحضيض، إذ كان هذا الشأن في غزله -مع العلم لقد كانت له تجارب كبيرة من النساء خاصة بعد نفيه إلى أوروبا الشرقية- فإنّه قد خاض في الرثاء فقد رثى شعراء لبنان وسوريا ومصر ونموذج هذا رثاء لحافظ إبراهيم[2]:

نعوا إلــى الشّعر حرًّ كان يرعاه ** ومــن يشقُّ علي الأح ارر منعاه
أخــنى الزّمان على نا„د زها زمنا ** بــحافظ واكتسى بالحزن مغناه
واستدرج الكوكب الوضّاء عن أفق ** على السّنا يحسر الأمصار مرقاه
ا الت ارب لــــسانا كلّه ملح ** ما كلّ مــحترف للشّعر يعطاه
ا ابن الكنانة ماذا أنــت مشتمل ** عليه ممّا ســـطا موت فغطاه
ستون عاما أرت٥ك النــاس كننهم ** والدّهر جوهره والعــمر مغ ازه

امتلك الجواهري عبقرية سحرية فريدة ومميّزة، مثّلت ظروف عصره وأبرزت حضوره الشخصي وحياته الحافية بالأحداث الجسام بشهادة قالها عن نفسه: "في داخلي كثير من العناصر المتفجّ رة، اعتزازي بكرامتي ثقتي بنفسي والتي تصل إلى حدّ الغرور أحيانا، كلّ هذه مجتمعة دمرّت شطرا من حياتي"[3].

هذه الصفات انعكست على تجربته الشعرية التي بدت للدّارس معقّدة وصعبة وذلك لغنى التجربة وتنوعها، وتعدّد صورها الفنية. فالجواهري دائم التّمرد، دائم الحركة، لا يستطيع

---

[1] الجواهري: في العيون من أشعاره، ص88. [2]
المصدر نفسه: ص112.
[3] نجيب البعيني: موسوعة الشعراء العرب المعاصرين، ص424.

السكون في مكان واحد، ينتقل من مكان إلى مكان ومن بلد إلى بلد، راغبا أحيانا وراهبا تارة أخرى.

وفي الخمسينات من القرن الماضي تصل التجربة الشعرية الجواهرية، بحمولتها المعرفية قمّتها، فتشيع في العراق وخارج العراق، في شعره خيط رفيع يشدّه إلى التراث العربي القديم لغة وأسلوبا، وفيه ابداع ومعاصرة لأحداث أمّته العربية وخاصة كلّ أقطار الأمّة العربية، كانت تعيش حينها حركات تحرّر ضد الاستعمار المعاصر، فأخرج الشعر العربي من المناسبتية إلى المعايشة الفعلية لأحداث العصر، ما جعل شعر الجواهري ياتي مُكلّلا بكلّ قيود الفن الرفيع من وزن وقافية ولغة وأسلوب وموسيقى وجمال وأداء.

قال عنه طه حسين: "إنّه البقية الباقية من التراث الأدبي العربي الصحيح"

قال عنه صلاح عبد الصبور: "لإنّه يمثل المرحلة الذهبية الأخيرة في الشعر العمودي الكلاسيكي".

قال عنه محمود درويش: "الجواهري خليط من المتنبي والبحتري وكامل التراث العربي على شرط تاريخي معاصر".

قال عنه السّياب: "لا متنبي بعد المتنبي إلّا الجواهري".

قال عنه سعدي يوسف: "إنّه الحلقة الذهبية في سلسلة الشعر العمودي".

2. عبد الرحمان الشرقاوي[*] والتجربة الشعرية:

بعدّ الشرقاوي أحد كبار رواد الاتجاه الواقعي الاجتماعي والنقدي في الابداع الشعري، فهو يكتب ليعبّر عن آرائه في القضايا السياسية والاجتماعية الهامة في عصره، فيعبّر عنها بالكلمات التي تصف صدق عاطفته واخلاصه، من أجل تشجيع أبناء جيله على المطالبة بحقوقهم المهضومة.

إنّ القارئ لأدب الشرقاوي يلمس ذلك التنوع في الأجناس الأدبية، فقد كتب في الشعر وفي المسرح الشعري والقصة القصيرة والرواية، ولذلك اتّسمت أعماله بالثراء والتنّوع وسعة الأفاق، لأنّ الشرقاوي قد خطّ لنفسه طريقا ميّزه عن سائر الأدباء والمبدعين.

[*] عبد الرحمان الشرقاوي من مواليد 1921 في مصر، درس الحقوق وعمل محاميا، لكنّه قرّر أن يكون كاتبا أديبا فأصبح شاعرا وصحفيا وروائيا ومسرحيا ومفكرا إسلاميا، يعدّ من رواد حركة التجديد في أربعينيات القرن الماضي، ترك أعمالا في الرواية "الأرض" في المسرح "مأساة جميلة" في الشعر دواوين كثيرة، توفي عام 1987.

لذلك إذا قرأنا أشعاره فيمكن دراستها ضمن مدرستين: الرومانسية والواقعية ففي المرحلة الأولى كان قد تأثر بالشعراء والنّقاد الذين ظهروا في بداية المدرسة الرومانسية قبيل ثورة 1919، من أمثال: خليل مطران وعبد الرحمان شكري وعبّاس العقّاد وابراهيم عبد القادر المازني وكلّهم قد وفّروا المناخ الملائم لمن جاء بعدهم.

كتب الشرقاوي الشعر في مستهل شبابه وكان حينها واقعا تحت تأثير الرومانسية بعواطفها الحادة وأحاسيسها الجارحة وتصوراتها الهائمة[1]. وقد جمعها في ديوانين "من أب مصري إلى الرئيس ترومان" و"تمثال الحرية وقصائد منسية". وهما ديوانان صارخان بمظاهر الرومانسية التي طالما كرّسها في شعره وبدت ملامحها فيما يأتي:

أ. الاغت ارب: على عادة الشعراء الرومانسيين شعر الشرقاوي بالاغتراب فلم يجد مهربا إلّا بالالتجاء إلى الطبيعة أو المرأة باعتبارهما ملاذا للرومانسي الحالم بواقع أفضل من واقعه البائس، يقول في إحدى قصائده[2]:

فإذا مات في غد فـــــدعوه
أمن الصمت تحت جنح ضبابه شبّعوا
ن ٠عشه الوضيء بلــحن
ضاحك المجتلى كلحن شــبابه
وضعوا فوق قبره من جنى الحقل
ومـن زهـره وأعـشـابـــــه
إنه عاش ع ٠مره يعشق الحــقل
٠سلو بالخمر عن أعـــنابه

يرى الشاعر في هذه المقطوعة أنّ الخلاص الوحيد من متاعب الحياة والمتمثلة في الإحساس بالغربة لا خلاص منه إلّا بالموت، هذا الخير الذي هو رمز الراحة الأبدية حيث السكون المطلق.

ب. الحب: إن هذه النزعة الذي عرفها الشعراء الرومانسيون وأخذوها تيارا عاطفيا يتمثل في فلسفتهم المملوءة بالحب والحرمان والألم والعذاب والضنى والأرق إذ "ليست المرأة عند

---

[1] ينظر، ثريا العسيلي: أدب عبد الرحمان الشرقاوي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1995، ص13.

[2] عبد الرحمان الشرقاوي: ديوان تمثال الحرية وقصائد منسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988، ص123.

الرومانسيين صورة جسدية فحسب، بل هي تكوين رائع من الجسد والروح معا"[1]. فقد صوّر الشرقاوي قصيدته رؤيا الحبيبة بصورة ملائكية شفّافة راقية، إذ يقول[2]:

أ أريت... هأنـــــذا كفرسان الزمن الغابر
لا شيء بعد سواك يصخب في ازدحام خواطري
أنا إن عشقت سواك إنســانا فلس ت بشاعر
ركاب أحلامي تجمع إلى صبـــاك
الطاهركأت ارني كيف أصبحت رعا الل صـــــبا
لم أعد أبصر في يومي وفي صحوي ســواك إنّني أذبل
يوما بعد يوم في هـــــواك

يصور الشاعر نفسه فارسا من الفرسان القدماء لا يوجد في خاطره إلى محبوبته التي يتعذب من أجلها، لقد أنحله الحب حتّى صار جسمه نحيفا يوما بعد يوم، وهو يتلذّذ بهذا العذاب على شاكلة الرومانسيين.

ج. الوحدة والكآبة والامت ازج بالطبيعة: ساد في شعر عبد الرحمان الشرقاوي إضافة إلى نزعة الحب، نزعة أخرى متمثلة في الحزن والكآبة، التي قد تدفعه إلى حد الانطواء على الذات، يقول في إحدى قصائده[3]:

دبّت الفرحة من حولي في كلّ مكـــان
العذارى يتهادين بأحلام زمـــــان
والرّبيع الأزرق الضاحك يشدو والأمــاني ا لي
بالأمس حبّ ها هنا ثم فقـــدته
ا هنا ضيّعني الحب ولكنّي حفظـــــته
طالما أنزع بالآلام كـــــأسي وشربته
ا فتـــــاتي إنّما أنت خيا ل قد نسجته
من دمي من دمعتي الحم ارء... لكن أين حبّي؟

---

[1] الغرب يسري: القصيدة الرومانسية في مصر، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1986، ص17.

[2] عبد الرحمان الشرقاوي: ديوان من أب مصري إلى الرئيس ترومان، دار النشر هايتية، مصر، 1986، ص61. [3] المصدر نفسه: ص77.

فاغتراب الشاعر النفسي واضح في هذه الأبيات، فرغم الفرحة المحيطة به، فرحة النّاس وفرحة الطبيعة، إلّا أنّه لا يحسّ بها إطلاقا، لأنّه غريب وحزين يعاني الحرمان والآلام، فلم يتق له إلّا الدّموع الماء التي سيرسلها مدرارا لعلّها تواسيه في غربته البائسة التي لا مخرج له منها، وهذا دأب الشعراء الرومانسيون ثم ينعكس حزنه على الطبيعة، فيراها حزينة مثله فيقول[1]:

وأصبح الشاطئ من بعدك صخ ار من جحيم والسّموات
غيوم تتـوارى فـي غيـــوم لا النّجوم
الزّهر يسمن ولا يسري النّسـيم يا لهذا البحر قد
أصبح كالهول العظـيم

د. القلق والتناقض: يعدّ القلق سمة وسمت الإنسان المعاصر عامة والشّاعر خاصة، نظرا لتراكمات الحضارة، وما سببته من ضغوطات نفسية أرّقت الشاعر، والشرقاوي لم يشذ عن القاعدة، فبدا في بعض أشعاره قلقا دون أن يعرف سرّ هذا القلق، لأنّه فكري، يقول في -القلق- وجودي إحدى قصائده:

لو يستباح لي الأنيـــــــــن لعرفت نا لا
تـــــــــعرفين و أريت أنّ الحـــبّ يملأ كلّ حيّ
بالسّرور
وتطوف أنسام الهوى في النّاس فاغمة العبير
و أريت وجهك ضاحكا من خلف أستار الحياء فوددت
لـو حطّمت كلّ مدى يحدّ من الفضاء

النصّ الشعري الشرقاوي فلوت لا يمكن للقارئ غير المتمرّس أن يفهم النص حقّ فهمه، لأنّه صادر عن نفسية قلقة متناقضة تناقض الدلالات الشعرية المُكرسة في البنية النّصية.

هـ- التوق إلى الحرية: عادة دأب عليها الشعراء الرومانسيون والشرقاوي واحد منهم وهي عادة الشوق والتوق إلى الحرية، إيمانا منه بأنّه لا خروج من أزمته الحادة إلّا بالحرية حيث المطلق واللّامحدود، يقول[2]:

---

[1] عبد الرحمان الشرقاوي: ديوان من أب مصري إلى الرئيس ترومان، ص21. [2] المصدر نفسه: ص45.

فابعثي شدوة الهوى المكنونـة

واحطمي هذه القيود وطيــري

أطلقيها كالرُّعب كالأمل المجنون

كالهول كانقضاض المـــصير

نستنتج من كلّ ما سبق أنّ الشاعر عبد الرحمان الشرقاوي واحد من الشعراء الرومانسيين إذ التزم في أغلب قصائده بكلّ مبادئ الاتجاه الرومانسي، ما يجعلنا نقرّ له بجهود كبيرة في تجديد القصيدة العربية الحديثة.

إذا كان الاتّجاه الرومانسي قد بدا واضّحا في أشعار الشرقاوي، فإنّ ذلك كان في المرحلة الأولى من تجربته الشعرية، لأنّنا نجده في المرحلة الثانية وأسميها مرحلة النضوج الفكري والوعي الإنساني، قد اعتنق النظرية الواقعية التي بدأت بالفلسفة ثم انتقلت إلى الأدب والفن.

لقد صار الشرقاوي أحد رواد الشعر الواقعي، لأنّ المتصفح لديوانه "من أب مصري إلى الرئيس ترومان" يجد إحدى عشر قصيدة استمد موضوعاتها من احداث سياسية ومناسبات اجتماعية تضاف لها أربع قصائد في ديوانه "تمثال الحرية وقصائد منسية"، فجاءت أشعاره تجسيدا للأحداث التي عايشها مثل الحرب العالمية الثانية ومأساة فلسطين عام 1948 وثورة يوليو عام 1952.

إضافة الشعر بنوعيه الرومانسي والواقعي، فقد كتب الشرقاوي في المسرح وأنتج مجموعة لا بأس بها نذكر منها مأساة جميلة، الفتى مهران، تمثال الحرية، وطني عكا، الحسن ثائرا والحسين شهيدا، النسر الأحمر، أحمد عرابي زعيم الفلاحين، وفي مجال القصة القصيرة والرواية كتب مجموعتين قصصيتين: أرض المعركة وأحلام الصغيرة، وفي الرواية نجد رواية الأرض وشوارع الخليفة، وقلوب خالية والفلّاح.

خلاصة القول لقد جدّد الشرقاوي في القصيدة العربية الحديثة كما رأينا في المضمون، وجدّد في الشكل فقد كتب في قالب شعر التفعيلة، متجاوزا في ذلك القصيدة الخليلية، وذلك لإيمانه بقدرة القصيدة الجديدة على استعاب الصياغات الحضارية الجديدة، التي ربّما تعجز عنها بحور الشعر العربي التقليدية، وبهذا العمل يعدّ المؤسس الأول للمدرسة الواقعية (مدرسة الشعر الحديث) والتي من روادها فيما بعد: صلاح عبد الصبور، أحمد عبد المعطي حجازي، والبيّاتي والفيتوري...

وكان من ملامح هذه المدرسة: -

الإنسان جوهر التجربة.

- الجنوح إلى الأسطورة والرّمز والتراث بكلّ أنواعه. - الوحدة العضوية المكتملة.

إذن هناك علمان كبيران لم ينتميا لأيّ مدرسة أدبية، لكنّ جهودهما ظلّت منحوتة في تاريخ الأدب العربي الحديث، إنهما محمد مهدي الجواهري وعبد الرحمان الشرقاوي، اللّذان يعدّان إضافة مميّزة في متن النص الشعري الحديث.

المحاضرة السادسة:

التجديد الشعري في المغرب العربي

تمهيد.

1. التجربة الشعرية عند أبي القاسم الشابي. 2. مضامين التجربة الشعرية الشابية.

3. التجربة الشعرية عند رمضان حمود.